عين المدينة

نبنيــها معاً

www.3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

في المدينة...

- وليد العبد الله.. نجم الثورة الجريح ص4
- 60 حاجـزاً تحاصر حمص ص6
- آثار دبسي عفنان ص8-9
- تربية الأغنام أثناء الحرب ص10-11
- أزمة المياه في مدينة دير الزور ص12
- بدائل عن انقطاع الاتصالات ص14
- سقوط آل الأسد ص16
- حسنين هيكل.. خادم الطغاة ص18

عين المدينة | العدد (19) | 1 كانون الثاني 2014

مجلة نصف شهرية مستقلة

عدسة أحمد - دير الزور

مأزق إعلاميي الثورة!

بات ما يتعرّض له الإعلاميون من أعمال خطفٍ واعتقالٍ وتصفية، على يد ملثمين، معروفاً على نطاقٍ واسع، فضلاً عما يقع على غيرهم من الناشطين الإغاثيين أو الصحّيين. ولن نستهلك الكثير من الحبر لبيان دور هؤلاء في خدمة الثورة، وما قاساه معظمهم من اعتقالٍ لدى أجهزة أمن النظام، فهذا ما بات مشتهراً لدى الجميع، عند الحديث عن السيرة الذاتيّة والثورية لكلٍ منهم، إثر اختطافه وتغييبه.

ولكن ما يستحقّ الوقوف عنده أمران يجب أن يعرفهما الخاطفون؛ أولهما أن سياسة الاستفراد لن تجدي، فالروح العامّة لدى إعلاميي الثورة جميعاً هي التكاتف، إذ جمعت بينهم التجارب المتشابهة، ووحّدتهم الدماء والجهود والعرق. وثاني هذين الأمرين أن أوّل من سيدفع الثمن هم الخاطفون أنفسهم، من سمعتهم السياسيّة ومستقبل شعبيّتهم. وإذا كانت الثورات، بما تحمله من اضطراب واسع في البلاد وأهلها، فرصةً للصعود السريع والانتشار الكبير اللافت؛ فإنها أيضاً قلابة، سريعة التحوّل والتخلّي والتنكّر وسحب الثقة ممّن كانت قد منحتهم إيّاها قبل أشهر قليلة. وإذا لم نشأ أن ننظر سوى إلى تجربة الثورة السوريّة وحدها، فقد تراكم عبر سنواتها، التي قاربت الثلاث، ما يكفي من تجارب صعود وهبوط الزعامات والهيئات والألوية والتجمعات المدنيّة والعسكريّة، بسرعاتٍ صاروخية، ما يكفي لأن يعتبر من كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

ألا هل بلّغت... اللهم اشهد...

الهيئة العامة للائتلاف تقرّر مصير جنيف2 والجربا سيقول للروس: إن مصلحتكم ليست مع بشار لأنه انتهى

هيئة التحرير

في منتجع خاصٍّ بعيداً عن إسطنبول ستعقد الهيئة العامة للائتلاف اجتماعاً مغلقاً في نهاية هذا الأسبوع. وبحسب أنباء من مصادر مطلعة فإن هذا الاجتماع سيكون بعيداً عن وسائل الإعلام، وستقطع جميع وسائل الاتصالات عن المشاركين، تجنباً لأيّة تسريباتٍ محتملةٍ قد تؤثر على مداولات الاجتماع، كما حصل في مرّاتٍ سابقة. وسيكون جدول الأعمال حول مؤتمر جنيف2 واتخاذ القرار المناسب بالمشاركة في هذا المؤتمر أو مقاطعته، وكذلك انتخاب رئيسٍ جديدٍ للائتلاف أو التجديد لانتخاب الجربا، وهو أبرز المرشحين وزعيم الفريق السعودي في الائتلاف، مع احتمالٍ كبيرٍ بعودة المنافسة على مقعد الرئاسة في هذه الانتخابات مع زعيم التيار المدعوم من قطر مصطفى الصباغ. ولا شك، وبحسب خبراء في شؤون الائتلاف، أن هذه المنافسة ستؤثر على القرار الواجب اتخاذه حول مؤتمر جنيف، إذ ستكون هذه المشاركة ورقةً انتخابيةً لكلا الفريقين وأنصارهما، دون أيّ اهتمام بجدوى المؤتمر نفسه وتأثيراته المحتملةً على مصلحة الثورة والشعب السوري. لأن معظم أعضاء الائتلاف يفتقدون إلى الحدّ الأدنى من المسؤولية والنضج، إذ يرغب كل عضوٍ وكل جماعةٍ أن يخرج من هذا الاجتماع وقد أخذ حصةً إضافيةً من المكاسب أو النفوذ داخل الائتلاف الذي يعدّ الممثل السياسيّ الأبرز للثورة السورية. وسيكون لهذا التنافس أثرٌ سيئٌ على موضوع مؤتمر جنيف، وخاصة مع التصريحات والمواقف المتناقضة والمضطربة التي يتخذها بعض الأعضاء، في ظلّ تجاذباتٍ دوليةٍ وضغوطٍ شديدة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية على قادة الائتلاف للمشاركة في جنيف2، ومن دون أيّة ضماناتٍ أو حتى تطميناتٍ بحلٍّ سياسيٍّ يتمخض عنه هذا المؤتمر يلبّي شيئاً من آمال السوريين، على عكس ما صرح به أحمد الجربا، رئيس الائتلاف، في وقتٍ سابقٍ، عن تأكيداتٍ وضماناتٍ خاصّةٍ برحيل بشار الأسد وعائلته عن السلطة.

ومن جانبٍ آخر، وبعد زيارةٍ إلى الرياض التقى فيها بكلٍّ من الملك السعودي والرئيس الفرنسي، أثناء تواجد الأخير في الرياض؛ أعلن الجربا أنه سيقوم بزيارةٍ إلى موسكو، في حال أعيد انتخابه رئيساً للائتلاف، وسيقول للروس فيها إن بشار انتهى، وأنه سيعمل على "إقناع المسؤولين الروس بأن مصلحتهم هي أن يكونوا مع الشعب السوري وليس مع النظام". وأكد مسؤولو الخارجية الروسية هذه الزيارة دون أيّة إشارةٍ إلى تغيّرٍ محتملٍ في الموقف الروسي، المطابق تماماً للموقف الرسميّ الذي تتخذه حكومة الأسد. وبحسب أنباءٍ مؤكدةٍ، عقد رئيس الائتلاف اجتماعاً مع قطبي هيئة التنسيق حسن عبد العظيم وهيثم مناع، تم التباحث فيه حول إمكانية تشكيل وفدٍ موحّدٍ بين الهيئة والائتلاف للمشاركة في مؤتمر جنيف.

وحدّد بشار الأسد الوفد الذي سيمثله بكلٍّ من وليد المعلم وزير خارجيته، وبثينة شعبان المستشارة السياسية له. وكرّرت وسائل إعلام النظام الموقف الذي سيتخذه هذا الوفد من جهة خروج موضوع "بقاء الأسد على رأس النظام" من أيّ نقاشٍ محتملٍ مع الأطراف المشاركة، وإحالة هذا النقاش إلى السوريين. فهم، بحسب هذا الموقف، وحدهم من يقرّر من يحكمهم. مما يشير إلى استمرار تعنّت النظام ورفضه لأي تنازلاتٍ ممكنة. وسخرت جريدة الوطن شبه الرسمية من تخبّط المعارضة السياسية ممثلةً بالائتلاف، وقالت: "إن واشنطن تضع اللوم على مهندس الملف السوري في خارجيتها السفير روبرت فورد، الذي لم ينجح حتى الآن في تشكيل وفد المعارضة". وقدّمت هذه الجريدة تحليلاً لا يخلو من الغرابة حول دور هذا السفير، حين قالت إنه يخادع الإدارة الأمريكية ويحاول خلق العراقيل أمام انعقاد المؤتمر من خلال التلاعب بالمواعيد. وأضافت الصحيفة: هناك ازدواجيةٌ في كلام فورد، وإمكانية أنه يمارس لعبةً مزدوجةً على إدارته بحيث يظهر وكأنه يدعم جنيف2 في حين يقوم بما يمكنه لإخفاق الاجتماع، وذلك بالتنسيق مع لاعبين خارج الإدارة الأميركية ومنهم خليجيون.

هجمـاتٌ متنـاوبةٌ في دير الـزور... والكندي بيد الثوار في حلب

هيئة التحرير

لم تهدأ جبهات القتال في دير الزور خلال الأسبوعين الماضيين، بين الثوار بفصائلهم المختلفة وبين قوات الأسد. فعلى الأطراف الغربيّة للمدينة، كانت قرية عيّاش مسرحاً لمعارك طاحنة بين مقاتلين من جماعة "دولة العراق والشام الاسلامية" وقوّات الأسد، التي تكبّدت خسائر فادحة في العتاد والأرواح في دفاعها عن مستودعات التسليح ومعسكر الصاعقة وغيرها من التجمّعات الواقعة هناك. ولوحظ في هذه المعارك دورٌ بارزٌ لما يسمّى "جيش الدفاع الوطني"، أو الشبّيحة المسلحين الذين قتل منهم العشرات في هذه المعارك. وقريباً من عيّاش كان اللواء (137) هدفاً آخر للهجمات المفاجئة التي شنها المقاتلون، لتسقط عدّة مقرّاتٍ وأبنيةٍ في داخله، وتخرج أجزاءً كبيرةً منه عن سيطرة النظام، بالتزامن مع ضرباتٍ موجعةٍ تلقتها قوات الأسد في مدخل مدينة دير الزور الجنوبيّ على طريق دمشق، في كلٍّ من البانوراما ومدرسة السواقة والكازية. وبهذه المعارك في الجهتين الغربيّة والجنوبيّة من المدينة، فُتحت جبهتان جديدتان على جيش الأسد، مما يشكل عبئاً إضافياً على هذا الجيش الذي بدت عليه علامات إنهاكٍ كبيرٍ يمكن استثمارها بشكلٍ مدروسٍ إن استطاع الثوار، بفصائلهم وتشكيلاتهم المختلفة، تنسيق الجهود والتخطيط المشترك، وهو ما لم يحدث في معارك دير الزور الأخيرة. فأثناء اشتعال الجبهتين الغربية والجنوبية كانت جبهات المطار شرقاً وجبهات داخل المدينة هادئةً في معظمها، مما سمح لجيش الأسد بتعزيز هاتين الجبهتين. وبعد أن خفّت حدّة المعارك اشتعلت جبهة المطار فجأةً بهجوم شنّته كتائب الجيش الحرّ على القطاعات الجنوبية من جبهة المطار، وتحديداً في كتيبة الدفاع الجويّ، في معركةٍ أطلق عليها المهاجمون اسم معركة البيعة، أوقعوا فيها خسائر كبيرةً في القوّات الأسدية، بينها طائرةٌ حربيّةٌ تفجّرت على أرض المطار، مع قصفٍ متواصلٍ بالصواريخ والقذائف محليّة الصنع. وأثناء ذلك تمكنت كتائب أخرى من الجيش الحرّ من اقتحام قرية الجفرة الملاصقة للجهة الشمالية منه، والتي صارت ثكنةً عسكريةً كبيرةً تابعة لهذا المطار. واستطاع الثوار تحرير معظم هذه القرية وسيطروا عليها، مقتربين لمسافةٍ قريبةٍ جداً من بوابة المطار الرئيسية. لكنهم، وبخطوةٍ فجائيةٍ أيضاً، انسحبوا من الجفرة، مبرّرين ذلك بتركهم وحدهم دون أيّة مؤازرةٍ أو تبديلٍ مع مجموعاتٍ أخرى من الجيش الحرّ، فاستغلت قوات الأسد هذه الفوضى لتعود وتحكم السيطرة على القرية. وتطرح هذه الحادثة، وغيرها من الحوادث المتكرّرة، تساؤلاتٍ كبيرةً على قائد عمليات الجيش الحرّ في جبهة المطار، عليه الإجابة عنها، والردّ على الاتهامات التي وجهها إليه الكثير من المقاتلين.

وفي حلب ما زالت طائرات الأسد الحربيّة تشنّ هجماتٍ يوميةٍ على الأحياء والمناطق المحرّرة، موقعةً أعداداً كبيرةً من الضحايا في صفوف المدنيين، في انتقام لفشلها الذريع في جميع العمليات القتاليةً والهجمات المركزة التي شنتها للتقدم على الأرض. وبعد حصارٍ طويلٍ سقطت مشفى الكندي، التي تتمركز فيها قوات الأسد، بيد تشكيلاتٍ مقاتلةٍ عدّةٍ من جبهة النصرة والجبهة الإسلامية، مع قتل وأسر العشرات من جنود الأسد، مما يتيح المجال أمام الثوار للتركيز على معركة سجن حلب المركزي، لتحرير عشرات آلاف الأسرى المحتجزين هناك.

وفي ريف دمشق فشلت جميع محاولات قوّات النظام لاسترجاع مدينة عدرا العمالية، متكبدةً خسائر كبيرةً في صفوفها، وكذلك الحال في الغوطة الشرقية بجبهاتها المختلفة. بينما بدأ تطبيق اتفاق الهدنة في المعضّمية، لتدخل المواد الغذائيّة والطبيّة إلى المدينة المحاصرة منذ مدّةٍ طويلة. وفشلت إلى الآن محاولات عقد اتفاقٍ مشابهٍ في مخيم اليرموك في المنطقة الجنوبيّة من دمشق، المحاصرة أيضاً وبشكلٍ خانق، مما تسبب بوفاة أكثر من 25 شخصاً نتيجة سوء التغذية.

وشهدت محافظة الرقة هدوءاً نسبياً على جبهات الفرقة 17 ومطار الطبقة واللواء 93، مع استمرار حصار هذه المواقع. وتشابهت المعطيات الميدانية في كلٍّ من ريف حماة وحمص والقنيطرة ودرعا، من الهدوء النسبيّ الذي تتخلله اشتباكاتٌ متقطعةٌ تندلع بين حينٍ وآخر.

من محيط مطار دير الزور العسكري | عدسة أسامة | خاص عين المدينة

ولـــيد العبد الله...نجم الثورة الجريح

وائل اسماعيل

اسمٌ عرفه كثيرٌ من السوريين، وعرفته المعارك في حي بابا عمرو بحمص، يوم كانت حمص بوصلةً للثورة وعاصمةً لها، ويوم تحمّلت حمص أكلاف الحفاظ على الثورة من الزوال. الملازم أول وليد واحدٌ من الضباط الخمسة عشر الأوائل في سوريا الذين انشقوا عن جيش بشار، وهو أول ضابطٍ من دير الزور ينشقّ عن هذا الجيش.. "عين المدينة" تذكرت البطل الذي لم يتماثل للشفاء بعد، فكان هذا اللقاء.

يقول العبد الله: قبل الثورة، كنت أعاني مع غيري من الضباط السنة في ذلك الجيش من التمييز على أساس الطائفة، وهذا شيءٌ معروفٌ للجميع. وبعد اندلاع الثورة وانكشاف الطبيعة الإجرامية لهذه الجيش وارتكابه لأعمال القتل والقمع للمتظاهرين السلميين، بدأت أشعر بالذنب وتأنيب الضمير لانتمائي إليه، رغم أنني كنت أخدم في محافظة السويداء الهادئة. في مرّاتٍ كثيرةٍ لم أتمكن من النوم. ولم تخفّف بعض التظاهرات التي شاركت بها متخفياً، خلال إجازاتي القصيرة إلى دير الزور، من هذه المشاعر. وكنت أخطّط وأحلم بعملية انشقاقٍ كبيرةٍ لكنني لم أوفق إلى ذلك. وفي يوم 1-8-2011، وبعد أن أخذت بندقيةً ومسدسين حربيين و(500) طلقةٍ وزعتها على حقيبتين، خرجت من الفوج حيث كنت أخدم وتوجهت من السويداء إلى حمص بالباص. وخلال الطريق كله كان مسدسي على وضع التلقيم، إذ كنت أتوقع كلّ شيء، وأتوقع أنني لن أعيش أكثر من خمسة أيام، لكنني كنت مطمئن الضمير وكأن جبلاً انزاح عن صدري. وبعد حمص ذهبت إلى الرستن، وهناك أسّسنا كتيبة خالد بن الوليد التابعة للواء الضباط الأحرار (قبل تشكيل الجيش الحرّ). وبعد انتقالنا إلى بابا عمر أسّسنا أنا وعبد الرزاق طلاس والملازم أول مهند الخطيب (الذي استشهد بعد ذلك)، إضافةً إلى مقاتلين مدنيين، كتيبة الفاروق.

من بابا عمرو في حمص

ويروي العبد الله تفاصيل إصابته في المعارك مع قوات الأسد على أطراف حيّ بابا عمرو، عندما فشلت عملية تفجير العبوات التي جهّزت للدبابات التي بدأت بالاقتحام، في يوم (11-2-2012) مما اضطرّه إلى الاقتراب والظهور لجنود الأسد، فأصيب بطلقات رشاش وقع على إثرها، وسحبه رفاقه إلى منزلٍ ثم إلى آخر صادف أن توقفت بجانبه دبابةٌ لم تلبث أن رحلت بعد أن شنّ الثوار هجوماً مضاداً. ومن ذلك البيت حمله محمد فلفل أبو أسعد (الذي استشهد في فترةٍ لاحقة) وركض به تحت نيران القناصة إلى المشفى الميداني بابا عمرو، حيث أجريت له عمليةٌ سريعةٌ لتنظيف الجرح وتضميده، إذ لم تكن إمكانيات المشفى المتواضعة مناسبةً لعلاج إصابةٍ خطرةٍ مثل إصابته، فقد تعرّض لتفتتٍ وضياعٍ عظميٍّ في الساقين لمسافة 7 سم. وكما أخبره الدكتور محمد المحمد، طبيب مشفى بابا عمرو الميداني الشهير، كان لا بدّ من علاجه في لبنان. لتبدأ رحلةٌ جديدة، بحمله في نفق ضيق وموحل وطويل مسافة 3 كم خلال 5 ساعات تقريباً، ومن هناك إلى لبنان بهوية بسام، شقيق الدكتور محمد (والذي استشهد هو الآخر لاحقاً). وهناك ساعده شخصٌ من دير الزور وآخرون، ولم تتذكره خلال أكثر من عام وثلاثة أشهر أيّة جهةٍ أو هيئةٍ أو جماعة. ولكنه لا ينسى مجلس ثوّار دير الزور، الذي وقف معه بعد انتقاله إلى تركيا، حيث يقضي يومه جالساً أو مستلقياً عاجزاً عن المشي إلا بكرسيٍّ متحرك، رغم أكثر من عشر عمليات جراحية.

ويضيف العبد الله أن الائتلاف، وبعد وساطاتٍ كثيرة، تكفل بعلاجه في ألمانيا. ويتساءل: لو كنت مصاباً لم يعرفه أحد... كيف ستكون حالتي؟! ويستذكر حال مئات آلاف الجرحى الذين لا يهتمّ بهم أحد، ولم تتشكل للعناية بهم أية هيئةٍ أو مؤسسةٍ فعالةٍ وذات إمكانات. ويتمنى وليد، الشاب المولود في قرية البوعمر عام 1984، أن تتوحّد فصائل الثوّار، وأن يتنازل كلٌّ منهم للآخر، وأن يخلصوا النيات لله تعالى، وأن يصدقوا مع أنفسهم ومع الله ومع هذا الشعب المنكوب.

أم أسعد:
أدين للثورة بالقوّة التي أمتلكها اليوم

هنادي عبد الوهاب

لم أكن أتخيّل وأنا أعيش تلك الأيام أنني سأحنّ إليها الآن، بل وأعتبرها أجمل ما مرّ بي! حين كان زوجي بالكاد يحصل على ما يسدّ رمقنا كنت أتذمّر كثيراً، غافلةً عن نعمة أن يكون معنا أنا وأطفالي الستة.

بعد اشتداد قصف قوّات النظام على دير الزور، منذ حوالي عام ونصف، غادرنا أنا وزوجي إلى الرقة، حيث أقمنا في بيتٍ صغيرٍ استأجرناه مع عائلةٍ أخرى من أقاربنا. وهناك قرّر زوجي أن يعود إلى المدينة لجلب بعض الأغراض من منزلنا، إلا أنه لم يرجع... عثر الناس على بطاقته الشخصية في الجورة، دون أيّة تفاصيل أخرى.

النزوح للمرّة الثانية

عشنا في الرقة حياةً صعبةً جداً إلى أن بدأت عملية تحرير المدينة، وهنا اضطررت مع أبنائي إلى حزم الأمتعة القليلة التي تصدّق بها علينا أهالي الحيّ وبعض الجمعيات الخيرية، و قررت أخذ أبنائي والنزوح إلى مدينة الميادين، التي كانت، وريفها، مقصد غالبية أبناء الدير في الرقة. وحيدةً كنت مع أطفالي. استشهد العديد من أقاربي، واعتقل أخي المعيل الوحيد لإخوته، وبالتالي لم يعد الظرف الماديّ لأهلي يمكّنهم من مدّ يد العون لي. عشنا فترةً عصيبةً في الميادين؛ تمكنا من إيجاد غرفةٍ في إحدى المدارس للإقامة فيها، وكان مصدر الرزق الوحيد هو الصدقات وبعض المعونات من الجمعيات الخيرية، والتي تخفف من معاناة أبنائي ولا تنهيها، فحاولت البحث عن مصدر رزق ثابت، إذ كان لديّ استعدادٌ للعمل في أيّة مهنةٍ شريفةٍ تؤمّن طعام أطفالي وكسوتهم. وبعد افتتاح المدارس خطرت في ذهني فكرة أن أعمل كمستخدمةٍ في المدرسة التي أقيم فيها، ونجحت في ذلك. صرت أنظّف المدرسة وأساعد في إنجاز بعض الأعمال للمعلمات والأساتذة، وبين الحين والآخر قد يوفقني الله بالحصول على فرصةٍ لتنظيف بيت إحداهنّ، لأحصل في نهاية اليوم على ما كان يحصل عليه زوجي في أفضل الأحوال "قوت يومنا".

السلاح الوحيد الذي أمتلكه هو "صوتي"

ليت الحياة توقفت في امتحانها لي عند هذا الحدّ، بل حدث ما لم يكن يمكن أن يخطر في بال أحد. فقد حضر شقيق زوجي، الشبّيح المنتمي إلى الجيش الوطنيّ، إلى المدرسة حيث أقيم، مستغلاً فترة غيابي، ليأخذ ثلاثةً من أطفالي بحجّة أنه سيأخذهم لزيارة جدّهم في القرية. ومن هناك اتصل بي وساومني عليهم، وهو يعرف أن لا مال يمكن أن أقدّمه له، ولكن ليته طلب مالاً، فقد اشترط عليّ القبول به زوجاً إن كنت أريد رؤية أولادي مجدّداً.

لم ينفع حديثي عن عدم العثور على جثة أخيه، وعن إمكانيّة عودته في أيّة لحظة. كانت هذه المحنة تفوق محنة فقدانه. كنت أفكر ماذا يمكن لامرأةٍ ضعيفةٍ مثلي أن تفعل. وهنا عدت لمراجعة أحداث حياتي خلال الثورة، وما مرّ بي. واكتشفت أن المعاناة التي عشتها خلال الثورة جعلت مني إنسانةً مختلفة. تملكتني رغبةٌ كبيرةٌ بالتحدّي مكّنتني من الذهاب إلى القرية حيث يقيم، واستخدمت السلاح الوحيد الذي أملكه وأجيد استخدامه "صوتي". وخلال دقائق قليلةٍ اجتمع الناس ورويت لهم القصة، وبتأثير ضغط الأهل والجيران أعاد إليّ صغاري.

كانت أياماً صعبة جداً، لا يمكن أن أنساها. إلا أن مأساتي لم تنتهي هنا، ففور عودتي اكتشفت أن العمّ المحترم قام بسرقة دفتر العائلة الخاصّ بي، ليحرمني من الحصول على أي شكل من أشكال المعونات، لأنها مقرونةٌ في الغالب بدفتر العائلة، لتصبح الحياة أكثر صعوبة. لكن معاناة الناس اليوم تجعلني أشعر بأن معاناتي أقل وطأةً يوماً بعد يوم. أشعر، رغم كل خسائري، أنني أدين للثورة بهذه القوّة التي أمتلكها اليوم.

60 حاجزاً لتجويع حمص:
نزوحٌ مفخّخٌ بعد قطع شريان الإغاثة

حسيب عبد الرزاق

ما تزال أحياء مدينة حمص القديمة تعاني من حصارٍ خانق، إذ يمارس النظام هناك تجويع أكثر من ٥٠٠ عائلة تعيش في أوضاعٍ إنسانيةٍ مزريةٍ للغاية. وقد أكد ناشطون مؤخراً وفاة أكثر من 15 مدنياً جرّاء الجوع والمرض والبرد.

وبسبب الطوق الأمنيّ الجائر الذي تفرضه قوات النظام على هذه الأحياء منذ أكثر من 14 شهراً، فإن الأغذية لم تكن تصل إلا عن طريق بعض الأنفاق تحت الأرض، التي يمرّر من خلالها بعض الناشطين الذين يعملون في الإغاثة القليل من المؤونة التي كان ينجدهم بها حي الوعر، الذي أصبح محاصراً بدوره، وهو يؤوي أكثر من 400 ألف نازح، بالإضافة إلى 200 ألف مدنيٍّ من سكانه الأصليين.

قطع الشريان

ويقول الناشط أحمد يوسف: "يعيش الأهالي في وضعٍ مأساويٍّ للغاية في أحياء (باب هود، الحميدية، بستان الديوان، باب التركمان، باب الدريب، الورشة، جورة الشياح)، حيث لا يجدون ما يأكلونه سوى ما بقي من البرغل والطحين، ولا تصلهم أية إعاناتٍ من خارج أسوار المدينة. والأوضاع زادت سوءاً بعد حصار حي الوعر الذي بات شبه منكوب. ويقوم النظام بقصفٍ همجيٍّ وعشوائيٍّ بشكلٍ يوميٍّ ليقتل أكبر عددٍ ممكنٍ من المدنيين".

لا يهادن النظام ولا يرحم من يقوم بإغاثة الأهالي في حمص المحاصرة بالملابس الشتوية والطعام، فبعد أن فجّر جميع الأنفاق التي كانت تورّد بعض الأغذية إلى داخل أسوار المدينة القديمة، قام بتشديد الحراسة وفرض طوقٍ أمنيٍّ يمنع مرور أية إغاثة، بهدف تجويع الأهالي. وقد عثر الناشطون مؤخراً على جثث أربعة مدنيين قنصهم النظام أثناء محاولتهم التسلل إلى حي الحميدية المحاصر، وكانوا يحملون بعض المؤونة لأهلهم في الداخل.

ألاعيب النظام الطائفيّة

حاول النظام مؤخراً استدراج بعض العائلات المسيحية المحاصرة في المدينة القديمة لفك الارتباط في المصير عن إخوانهم "السنة"، فقد أرسل عدة بياناتٍ "أمنية" تدعوهم فيها إلى الخروج الآمن من تلك الأحياء، بحماية وإشراف "الشبيحة" أو منتسبيهم "اللجان الشعبية". إلا أن تلك العائلات لم تستجب لتلك الدعوات الملغومة، ورفضت فكرة الخروج، رابطين مصيرهم بمصير كل العائلات المحاصرة، وقد أصدروا عدة بياناتٍ تؤكد رفضهم للإذعان لشروط النظام بخروجٍ آمن.

يقول ماجد، وهو مسيحيٌّ من أهالي حي بستان الديوان المحاصر: "النظام يراوغ لاستدراجنا لأنه يخشى غضب المجتمع الدولي إذا وقع ضحايا من المسيحيين في حال قامت قوّاته باجتياح المدينة القديمة، لذلك هو يستدرجنا للنزوح من تلك الأحياء ليقصفها على مزاجه، ثم يظهرنا على شاشات تلفزيونه الرسمي لنقول مجبرين إننا كنا رهائن للعصابات المسلحة، ويجبرنا أن نقول إن الأحياء القديمة لا يوجد فيها سوى المسلحون والإرهابيون".

طوق الموت والابتزاز

يطوّق أحياء حمص أكثر من 60 حاجزاً عسكرياً، بحسب إحصاءات ناشطين. وتستبيح تلك الحواجز قتل المدنيين على الهوية. يقول أبو بلال، وهو شيخٌ نزح من حي باب السباع: "كلّ أهل حمص مطلوبون للأمن. وإذا حاول أحدٌ الخروج فسيقتلونه على الفور، بعد أن يشتموا دينه وعرضه. ورشوة العساكر هي المخرج الوحيد الذي قد ينجي الخارج من تعرّضه للتصفية الجسدية".

من صفحة "عدسة حمص المحاصرة"

تعجّ حواجز النظام العسكرية والأمنية، التي تقطع أوصال المدينة، بترسانة هائلة من السلاح بأنواعه، الثقيل كالدبابات والمدافع والعربات المصفحة. وتمارس القصف اليومي والممنهج على الأحياء القديمة، وأحياناً تقصف عشوائياً أحياءً أخرى تؤوي عشرات الآلاف من النازحين، مثل كرم الشامي والمحطة، لترهيبهم وإجبارهم على النزوح خارج المدينة. وتمارس الحواجز طقوسها في جني الأموال عن طريق ابتزاز الرجال الذين يصحبون معهم نساءهم وأطفالهم، فيهدّدونهم بالاعتقال والاغتصاب إن لم يدفعوا أتاواتٍ لرئيس الحاجز.

ويقوم كثيرٌ من أهالي الأحياء الموالية للنظام (عكرمة، النزهة، والزهراء، وادي الذهب) بتقديم الدعم اللوجستي وإرسال أبنائهم الشباب للخدمة والحراسة ودعم تلك الحواجز التي تعاني من نقص في العناصر، تحت شعار "الأسد أو نحرق البلد"، ومقابل جني أموالٍ طائلة من خلال طقوس الإرهاب التي يمارسونها بحق سكان حمص الأصليين.

وللتبغ قصته!

بدأت القصة عندما تواصل أحد المحاصرين مع ضابطٍ من معارفه يقاتل على إحدى الجبهات لدى عصابات الأسد. وأثناء الحديث طلب المحاصر من الضابط كميةً من الدخان الذي صار نادراً في المدينة، مقابل مبلغ من المال، فاتفقا على موعدٍ وتمّ الأمر بنجاح. وتكرّرت العملية عدة مراتٍ فأصاب الضابط الطمع وصار يرفع السعر إلى أرقام خيالية، ولكن المحاصرين كانوا يضطرون إلى دفعها.

حتى كانت مرّةٌ تمّ فيها دفع مبلغ 8 مليون ليرةٍ سوريةٍ من قبل المجلس العسكري في حمص المحاصرة، كدفعةٍ أولية، مقابل إدخال بعض التبغ وحليب الأطفال وبعض المعلبات. ولكن المفاجأة كانت أن التبغ والمعلبات والحليب مسمّمةٌ بمادة الزرنيخ القاتل، مما اضطرّ المجلس إلى إتلافها.

وقدّر البعض أن مبلغاً يتراوح بين 55 إلى 60 مليون ليرة كان قد أنفق على دفعاتٍ خلال مدّةٍ لا تتجاوز الشهر، ثمناً لكروزات السجائر والدخان العربي، الذي وصل سعر الكيلوغرام الواحد منه إلى مليون ومئتي ألف ليرة!!! مما اضطرّ القائمين على أمور المحاصرين إلى تحديد حصّة المقاتل المدخّن بغرامين فقط من التبغ أسبوعياً!!!!

المجلس المحليّ في بلدة الراعي

بلال دوماني

من قرية الراعي | عدسة يزيد

تقع بلدة الراعي في الشمال الشرقي لمدينة حلب، وتبعد عنها مسافة 60 كم، على الحدود التركية. ويبلغ عدد سكانها كمدينةٍ 25 ألف نسمة، و60 ألفاً مع القرى التابعة لها.

قدّم المجلس المحليّ فيها خدماتٍ عديدةٍ للناس في كافة المجالات، سواءً منها الخدمية أم الإغاثية أو الطبية. وعلى صعيد مادة الخبز فإن فرن الراعي قد أمّن هذه المادة الأساسية لما يزيد على 40 قريةً في الريف الشمالي، بأقل من ثلث السعر الذي كانت تباع فيه في مدينة حلب. وعندما تم استرداد 460 طناً من مادة الطحين المخصص لبلدة الراعي من أشخاص استولوا عليها بطرق غير مشروعة، بحجة أنها مواد إغاثية؛ تم تخفيض سعر ربطة الخبز من 30 إلى 20 ليرة سورية. وعن هذه الحادثة يقول أبو خالد، رئيس المجلس المحلي للبلدة: "هناك وثائق لدينا، ولدى مجلس محافظة حلب، والهيئة الشرعية في الباب، ومستودعات إعزاز؛ تثبت تورّط بعض الأشخاص بحرمان 40 قرية من مادة الطحين".

أما في مجال الخدمات، فقد قام المجلس بتأمين بوسطات الكهرباء للمدينة بطاقة (400KVA و600 KVA)، وبذلك تم تزويد القرية بالكهرباء دون انقطاع، وتشغيل مضخّات المياه لتأمين مياه الشرب. كما قام المجلس بإصلاح الشبكات، وتأمين اللوالب، وحفر بئرٍ إرتوازيٍّ إضافيٍّ قرب الفرن الآلي، وإرواء المنطقة الشرقية من البلدة، والتي كانت محرومةً من مياه الشرب لمدة 4 أشهر، وتجهيزها بكافة مستلزمات الضخ من أنابيب الشبكة مع مواسير حديد للغطاسات، وإبدال المضخة المحروقة بأخرى جديدة.

أما في المجال التعليميّ، فقد قام المجلس بتأمين وتأهيل مقاعد الدراسة ثم توزيعها على المدارس الستة في الراعي، عند افتتاح العام الدراسيّ الجديد. وتأمين الكتب المدرسية لكافة المراحل الدراسية.

أما في قطاع النظافة العامة فقد تمت إزالة كافة الشعارات السابقة من على الجدران، وإعادة دهانها باللون الأبيض، وتنظيف الشوارع في حملةٍ استمرّت مدّة 3 أيام، تم فيها تنظيف المدخل الجنوبي للبلدة، وإزالة الأوساخ من جوار المشفى الميداني. كما عمل المجلس على تأمين مادة الكلور لتعقيم المياه.

لا ينسب مجلس الراعي النجاحات التي حققها لنفسه فقط، بل يقول أبو خالد: "قدّم لنا مجلس محافظة حلب مساعداتٍ، ولو أنها ليست بالمستوى المطلوب، غطّت بعض مصاريف المجلس، وكذا المجلس المحليّ والهيئة الشرعية في الباب، اللذين كان لهما دورٌ كبيرٌ في مساعدة هذه البلدة. ونتوجه لهم بالشكر. هذا هو عملنا في الدورة الأولى للمجلس"....

سرقة المقابر أسقطت كثيراً من صفحات التاريخ

قيس الرقّي

الرّقّة درّة الفرات المستلقية على ضفتيه أيقونةً مفعمةً بالألوان، ما بدا منها، وما خفي أو أُخفي عن سوء سريرة. أنى توجهت فثمة شاهدٌ حضاريٌّ. وهذه المرّة توجهنا غرباً بين الطبقة وحلب، وتحديداً إلى قرية دبسي عفنان.

لم يكن العثور على مساعدين بالسهولة التي توقعناها؛ كثيرون رفضوا لأنهم ما زالوا مسكونين بالرهاب، ففيما مضى كان مجرد الوجود قرب معلم أثريٍّ يودي بصاحبه إلى غيابات سجن طويل. وآخرون مسكونون بخوفٍ ما ورائيٍّ عن عالم الجنّ والأساطير، بزعم أن الآثار مرصودةٌ بقوىً خفيّة، ومن يفضُّ أسرارها سيصاب بمسٍّ أو يُلطُ: (اللطّ؛ اللقوة: اعوجاج الشدق والحنك جرّاء خوفٍ وفجاءة). وأخيراً وجدنا ضالتنا في رفيقين تأهبا، وانطلقنا متحزّمين ببنادق ومصابيح.

يأخذنا الطريق الإسفلتيّ الضيّق الملتوي شمالاً لنحو ستة كيلو مترات، وبعدها نستمرّ شمالاً لنبلغ البحيرة. وبمحاذاتها شرقاً نسلك طريقاً ترابياً شديد الوعورة، حتى تباغتك تلالٌ ممتدّةٌ وقد نبشت فيها حفرياتٌ قديمةٌ وحديثة. سألنا الأهالي عنها فيما بعد فقيل لنا إن هذه المغارات نبشت في الغالب منذ أمدٍ يمتدّ بين عشرٍ إلى عشرين سنة، وهم يعرفون واحدةً هي بدر الزمان. والراجح أن هذه المنطقة ظلت بعيدةً عن دائرة الضوء على الرغم من قربها من مملكتي ايمار وبالس، وأقرب منهما آثارٌ أخرى في دبسي فرج غرباً.

قادنا الدليلان إلى أولى المقابر، ولكنها كانت صعبة المنال، فما تبقى من الباب بعيدٌ أسفل حفرةٍ عميقةٍ جداً. بدأنا التدلي بالحبال يسبقنا دليلنا المزوّد بسلاح ومصباح، ولما وصل قرار الحفرة قام بتأمين

عدسة أحمد | خاص عين المدينة

المدخل مبعداً العناكب بعودٍ صغير، ثم انبطح قبالة المدخل الضيق ومدّ عنقه بعد مصباحه ليتأكد من خلوّها من أيّ حيوانٍ مفترس.

موتٌ في تركة الموت

هالتني المقبرة، فقد تضمّنت عشرة قبور؛ أربعةٌ على ميمنة المدخل، ومثلها على الميسرة، حُفرت بعنايةٍ فائقة. أسقفها أقواسٌ متناظرةٌ مدهشة، أما عمقها فكان متماثلاً ناعم الملمس، تشكّل في مجملها تحفةً فنيةً رائعةً ما زال معظمها يحافظ على شكله الأصلي دون محتواه الذي نجهله، والذي غيّب وغاب معه جزءٌ من تاريخ أو تفسيرٍ لمرحلةٍ من التاريخ، وكلها خاويةٌ حتى من العظام!؟ وفي صدر المقبرة نُحت قبران أكبر حجماً رجّحنا أنهما لربّي الأسرة. ظلت تلك المقبرة هاجساً يراودني، فبهاؤها وعظمة صنعها وإتقانها أمورٌ تدفعك إلى الاندهاش والذهول؛ أيقونةٌ متقنة الصنع والتصميم. ربما كانت مقبرةً لأسرة ذات شأنٍ من النبلاء، ولم يبق منها سوى الأحجار.

على مقربةٍ منها دخلنا واحدةً جديدةً كانت تثير الشجن والأسى، فالأمر لم يتوقف عند نهبها، بل تعدّاه إلى عطب وخراب أصابا جزءاً كبيراً منها، فقد حُطمت أجزاءٌ كثيرةٌ من الغرف الداخلية التي تضمّ قبوراً ثنائيةً وثلاثيةً متفاوتة الأحجام، والتي يبدو أنها كانت تحفةً فنيةً لم يبقَ من جمالها وأبّهتها إلا القليل ومع ذلك تظلّ واحدةً من أجمل المقابر التي دخلناها.

مشاهد باهرة

أوغلنا جنوباً أكثر مبتعدين عن النهر، وكانت المفاجأة وجود جبٍّ لا يعرف أبناء المنطقة عنه شيئاً إلا أنه قديم. كانت المياه الآسنة تغطي نصفه السفلي تماماً، وتظهر منه أربع صخورٍ عظيمةٍ تشكل جدرانه، تعلوها أحجارٌ صغيرةٌ رُصفت بعنايةٍ حتى سطح الأرض. خلّفنا البئر وراءنا واقتحمنا نفقاً عظيماً تحت الأرض يمتدّ لأكثر من عشرة أمتار، غطّت التربة معظمه ولم يبقَ منه سوى القوس العلويّ الباهر الذي صُنع برهافةٍ وعنايةٍ فائقتين، ولا بد أنه يؤدي إلى موقعٍ ما بات تحت الأتربة لم نستطع الإيغال فيه

بدر الزمان واسطة عقد الزمان

التحفة الثانية التي حظينا بها لم تكن مقبرةً على الأرجح، بل ربما مقرّاً أو مسكناً، فمدخلها يقبع تحت حفرةٍ كبيرةٍ حفرت بفعل فاعل. يأخذك المدخل نحو منحدرٍ شديدٍ بين صخرتين عملاقتين متوازيتين، وينتهي المنحدر بمدخلٍ تغمره مياهٌ آسنةٌ حالت دون التوغل فيها مما جعل أحد مرافقينا يعلّق: هذه المغارة مرصودةٌ بالماء. أعتقد أنها ما تزال بكراً، وهذا ينطبق على المغارة المجاورة لها التي أعطت المكان اسمَها (بدر الزمان)، لكن ليس ثمة أملٌ باقتحامها بسبب الماء والوحل.

اتجهنا غرباً، كما رجّحتُ، فهناك تفقد بوصلتك البيولوجية قدرتها على تحديد الجهات، فالأرض متشابهة المعالم، إضافة إلى حالة الذهول والإدهاش التي كنا نعيشها، ناهيك عن الرهبة والوحشة والقلق.

مقابر طابقية

وصلنا إلى مقبرةٍ جديدة. ولم تكن المفاجأة الكبيرة في حجمها بل في فنها وعظمتها، فقد ضمّت عشرين قبراً بُنيت بطريقةٍ فنيةٍ مذهلة، فعلى اليمنة يصادفك باب مغاراتٍ داخليةٍ يضمّ كلٌّ منها ثلاثة قبورٍ على شكل صندوقٍ مفتوح، نُحتت جميعاً في جوف صخرةٍ كبيرةٍ بدقةٍ فائقة، وفي الجهة المقابلة للباب جُوّفت قبورٌ طابقيةٌ علويةٌ وسفليةٌ مخفية، لكن ثمة من استطاع الوصول إليها، وعلى الجهة اليسرى قبورٌ ثنائيةٌ عاثت بها بعض الأيدي فساداً. وقد فقدت جميع القبور محتوياتها، وإن كانت المغارة الوحيدة التي وجدنا فيها بقايا عظام؟؟! تلك العظام التي تنغرس بالقلب كما الخنجر وأنت تشاهد الخراب وقد كلل تلك النفائس.

أسئلةٌ معلّقة

ثمة ما يمكن أن يُقال وما يُسأل لكن ليس ثمة إجابةٌ بقدر الفجيعة التي أصابت هذه المنطقة؛ أين وكيف ومتى سُرقت كل هذه الكنوز واللقى الأثرية؟؟؟ معظم أبناء المنطقة يؤكدون أنها سُرقت منذ عقدٍ أو عقدين من قبل أشخاص ليسوا من المنطقة، كان لهم من يحميهم من القانون، فمن سرقها؟؟ ولماذا لم تشر البعثات إلى هذه المنطقة؟؟ أسئلةٌ كبيرةٌ بقدر الفجوة الكبيرة التي تتركها هذه الحضارة المستباحة في صدر التاريخ؟!؟!

من أعمال التخريب داخل الموقع | عدسة أحمد

تقييم آثاري

وللاطلاع على القيمة التاريخية للمكان استشرنا الدكتور شيخموس علي، رئيس جمعيّة حماية الآثار السورية، الذي قال: دبسي فرج كانت تقبع فوق قمةٍ مرتفعةٍ وبالقرب منها أطلال "أتيس" الرومانية Athice، وهي المدينة السالفة لقرية دبسي فرج في العصر الروماني، لكونها ملاصقة لها تماماً. وإلى الشرق منها قليلاً تقع قرية دبسي عفنان، فالقريتان متجاورتان، لا يفصل بينهما سوى بضع مئاتٍ من الأمتار، وهما من المواقع الأثرية المسجلة لدى المديرية العامة للآثار والمتاحف.

في عام 1972 م، وضمن مشروع إنقاذ آثار حوض الفرات، قامت بعثةٌ أثريةٌ أمريكيةٌ، مؤلفةٌ من دومبارتون أوكس وجامعة ميتشيغن، بأعمال التنقيب الأثري المنهجي في موقع دبسي فرج. وشمل العمل جزءاً كبيراً من سور المدينة، وهو من القرن الثالث الميلادي، كما شمل منشآتٍ مدنيةٍ رومانيةٍ وبيزنطيةٍ وإسلامية، وبعض المنشآت المعمارية الواقعة خارج سور المدينة. وقد عثرت البعثة على بعض الجدران والأقواس وبعض أبراج سور المدينة، وصهاريج المياه والتمديدات الصحية، إلى جانب بقايا بيوتٍ سكنيةٍ من القرن الثاني حتى القرن السابع الميلادي

بالاضافة إلى بقايا حمامٍ رومانيٍّ تبين أنه ظل مستخدماً حتى العصر الإسلامي، وكنيسةٍ من نمط البازليك من آخر القرن الرابع الميلادي، ذات أبعادٍ طولانية (45 × 24 م)، يمتدّ جناحها الرئيسي نحو الغرب، ويحيط بها رواقان معمَّدان. وتوجد في دبسي فرج بعض المقابر التي تكون خالية غالباً، لأنها تعرضت للنهب منذ زمنٍ بعيد.

وكانت مدينة "أتيس" تتمتع بأهميةٍ عسكريةٍ واقتصاديةٍ كبيرة، لا سيما في الفترتين اللتين قام فيهما كلٌّ من الإمبراطورين "ديوقليسيان" و"جوستنيان"، بتحصين المدن والنقاط العسكرية الواقعة على الفرات. أما بالنسبة لدبسي عفنان فهو موقعٌ مسجلٌ لدى المديرية العامة للآثار والمتاحف... والمعلومات المتوفرة حتى الآن تشير إلى أنه كان جزءاً ملحقاً من مدينة أتيس.

إن عمليات التنقيب السرّي في المدافن لن تفيد لصوص الآثار في شيء، لأن القبور خاوية، ولن يجدوا فيها سوى بقايا عظمية في أفضل الأحوال. وبالمقابل فإن هذه الحفريات غير الشرعيّة تشكل خسارةً كبيرةً للآثاريين، لأنها تؤدي الى تخريب السويات الأثرية، وبالتالي ضياع معلوماتٍ هامةٍ تساعد الباحثين على فهم أفضل للموقع وللعصور الزمنية التي شهدها.

صعوبات تربية الأغنام أثناء الحرب

بلال عبد القادر

تحتلّ دير الزور المركز الثاني في الثروة الغنميّة بين المحافظات السورية؛ ففي إحصائيات وزارة الزراعة والإصلاح الزراعي لعام 2011 كان عدد الأغنام في المحافظة 2.597.349 من أصل 18.071.291 هو إجمالي أعدادها في القطر.

ولكن أزمةً حقيقيةً باتت تهدّد هذه الثروة في السنتين الأخيرتين، لا في هذه المحافظة فحسب بل في القطر ككل، سببها عوامل عديدة لعل أبرزها تسرّب أعدادٍ كبيرةٍ من رؤوس الأغنام إلى خارج القطر، وقلة معدل الأمطار، إضافة إلى تضاعف أسعار الأعلاف، وندرتها في بعض الأحيان، وغيرها من العوامل، لعل معرفتها من خلال الحوار مع مربّي الأغنام خير دليلٍ على حجم هذه المعاناة.

أحمد العلي: تربية الأغنام.. صعوباتٌ لا تنتهي

يسرد أحمد، وهو من أهالي قرية الزباري، معاناته في تربية قطيعه من الماشية من خلال كل خطوةٍ من خطوات هذا العمل الأساسية. فعادةً ما يرحل مربّو الأغنام إلى الجزيرة السورية، وتحديداً إلى ما يعرف لديهم بمنطقة خط العشرة، طلباً لمرعىً جيدٍ لمواشيهم، في ما يعرف . باصطلاح الرعاة . برحلتي الشامية والجزيرة. وعن ذلك يقول أحمد: تشكّل مناطق معينةٌ في محافظة الحسكة مكاناً يشدّ الرعاة الرحال إليه بعد انتهاء كلّ موسم حصاد، أي تقريباً في بداية الشهر السادس من كل عام. وهذه المناطق؛ كرأس العين، وعامودا، والدرباسية، والقامشلي، تكثر فيها المراعي، سواء كأرضٍ مشاع، أم كحقولٍ انتهى فيها حصادٌ محصول القمح. وطبعاً لا يغامر الراعي ويسافر مع أغنامه مباشرةً، بل يحتاج إلى رحلة استكشافية قبل أن يحضر قطيعه، حتى لو كان يأتي سنوياً إلى ذات المكان، فقد يكون صاحب الأرض قد امتنع عن الموافقة بالسماح لقطيع هذا المربّي بالرعي في أراضيه، أو أنه سمح لمربٍّ ثانٍ باستثمار أرضه، الأمر الذي يتطلب البحث عن أرضٍ أخرى لرعي القطيع. وبالنسبة إليّ، ورغم أنني أحضر قطيعي إلى الأرض نفسها في مدينة الدرباسية منذ أكثر من ثماني سنوات، إلا أنني أقوم بهذه الزيارة الاستكشافية تحسباً لأيّ أمرٍ طارئ.

رشىً يتقاضاها الشريكان؛ الجيش النظامي وحزب الاتحاد الديمقراطي الكردستاني

ويتابع العلي حديثه: في السنوات السابقة لم نكن نحتاج إلى دفع أموالٍ كرشىً للوصول إلى مكان الرعي، سوى 200 ل. س يتقاضاها أحد العساكر في الحاجز عند دوار غويران في مدينة الحسكة، أما الآن فذات الحاجز يطلب مبلغ عشرين ألف ليرةٍ كي لا يعرقل عملك ويمنعك من العبور! أما بالنسبة إلى حاجز الاتحاد الديمقراطي الكردستاني، أو ما يعرف بـ (PYD)، الموجود قبل مدينة الدرباسية، فيأخذ من 10000 إلى 15000 ليرةٍ كرشوةٍ صريحة، عدا عن وصل يقطعه للراعي بقيمة 5000 ليرة مقابل السماح له بالعبور للرعي في الأراضي الواقعة تحت سيطرتهم. ولا ينتهي الأمر عند هذا الحدّ، إذ إنهم يحجزون هوية الراعي مقابل ذهابه لإحضار صاحب الأرض أو الضمان، ويضطر الراعي إلى أن يدفع 1000 ليرة عن كل يوم تأخير. وعندما يأتي صاحب الضمان يُكتفى منه بشهادةٍ شفويّةٍ مفادها أنه يسمح لهذا الراعي بأن يتضمّن أرضه. وهنا يكون مجموع ما دُفع كرشاوى نقدية قد تجاوز الأربعين ألف ليرة.

ولا ينتهي مسلسل الرشوة عند الرفاق أبناء الحزب التقدميّ عند هذا الحدّ، بل يتعدّاه ليصل إلى تشليح الراعي فطيمةً كهديةٍ لرئيس الحاجز. ويعلّق أحمد على هذه النقطة بقوله: كانت قيمة الفطيمة التي دفعتها عنوةً لرئيس الحاجز ما يقارب 18000 ليرة. ولا زلت أتذكر تعليقه باللغة الكردية عندما شاهد الفطيمة (برخي باش)، فرددت عليه بلهجتنا المحكيّة: ولونها أحمر زاد.

كما أن حلاوة الرشوة دفعت بالرفاق المناضلين المرابطين على الحدود إلى الطمع بالمزيد، الأمر الذي يضطرّ الراعي المسكين إلى تجهيز فطورٍ لهم كل يومين من اللبن أو الجبنة. وعن ذلك يخبرنا أحمد: يكلفني ثمن فطور عناصر الاتحاد الديمقراطي الكردستاني بين 3000 و4000 ليرة أسبوعياً.

رحلةٌ لا تنتهي مشاقّها عند هذا الحدّ

يقول أحمد: في المواسم الجيدة عادةً ما يرفض الكرام من أصحاب الأراضي تقاضي أيّ مبلغ لقاء رعي الأغنام في الأرض المحصودة، ولكن في مثل الظروف التي نعيشها في السنتين الأخيرتين لا يقلّ سعر ضمان الدونم الواحد عن 200 ليرة. وفي المناطق التي يسيطر على أغلبها الجيش الحرّ، كرأس العين، يكون سعر الضمان أعلى، ليصل حتى 500 ليرة. وعادةً ما يضطرّ لهكذا أراضي الرعاة الراغبون بالأمان أو المنشقون، أي من انشقوا عن الجيش النظامي ورجعوا لمزاولة الرعي.

ثم يتابع: يبقى الرعاة القادمون من دير الزور في محافظة الحسكة طيلة فترة الضمان، والتي هي أربعة شهور عادةً. وتحتاج عملية نقل الأغنام في الذهاب إلى 70000 ليرة، ونقل الجرار إلى 15000 ليرة. أما في الإياب فكلفة نقل الأغنام 90000 ليرة، ونقل الجرار 25000 ليرة. أما التكاليف الكليّة التي دُفعت لأصحاب الأراضي التي رعت فيها أغنامنا فهي 200000 ليرة. وعند الوصول بالقطيع إلى قريتنا أحتاج أيضاً إلى أن أتضمّن أرضاً جديدةً من أحد الفلاحين كي يرعى بها قطيعي. وهذا العام زاد سعر دونم الذرة الصفراء، أو ما يعرف عند أهالي الجزيرة والفرات بالصفيرة، من 7000 ليرة العام الفائت إلى 10000 ليرة، أما ضمان دونم القطن فارتفع من 1000 إلى 3000 ليرة. ولما كان القطيع المؤلف من 200 رأسٍ يحتاج إلى دونم ذرةٍ كل أربعة أيام، فإن تكاليف الضمان خلال شهرين تساوي 150000 ليرة، أما القطن فيحتاج نفس القطيع إلى دونم منه يومياً، أي 60000 ليرة خلال شهرين.

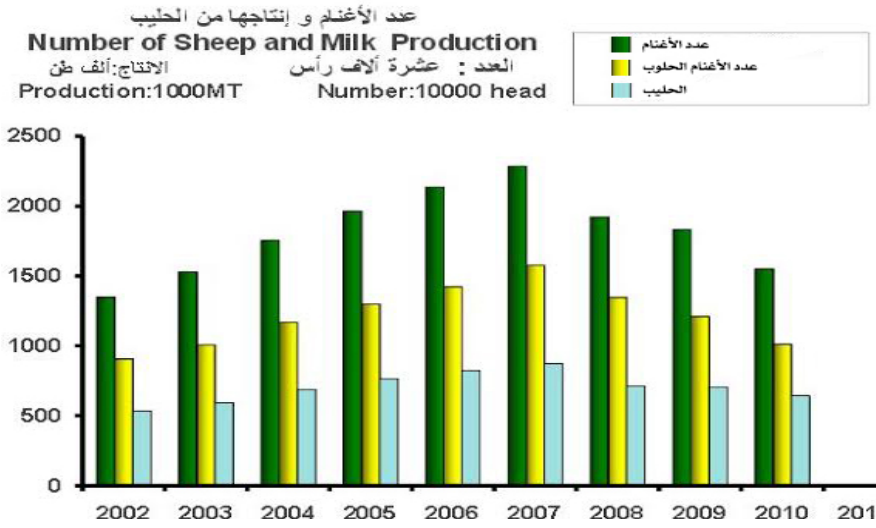

شتاءٌ مكلفٌ جداً لتربية القطيع

خلف الخضير راعي أغنام من قرية بقرص، أوضح لنا التكاليف الباهظة جداً لتربية الأغنام في فصل الشتاء، بقوله: بعد الخلاص من ضمان حقول القطن والصفيرة نضطر إلى استخدام بعض المزروعات، إضافةً إلى الأعلاف المركّزة، من نخالةٍ وكسبة قطن، وقشرة قطن.. إلخ، والتي ارتفعت أسعارها في السنتين الأخيرتين، ليحتاج القطيع المكون من 200 رأس إلى ما يقارب 8000 ليرةٍ يومياً كمصاريف تغذية، وهذا يجعل من تربية الأغنام عمليةً خاسرةً تقريباً. وعملنا الحالي هو للمحافظة على القطيع فقط، بل حتى لو خسرنا 5% من القطيع فهو أمرٌ مقبولٌ حتى نستطيع تجاوز هذه الأزمة وتفادي خسارة القطيع كاملاً.

أسعار الأعلاف قبل الأزمة وبعدها

للوقوف على هذا الأمر كان لا بدّ من معرفة التفاصيل من أحد المعنيّين بحركة بيع وشراء الأعلاف، فكان أن التقينا بزكي النهار، وهو صاحب صيدليةٍ زراعية، فتفضل بالقول: سابقاً، ورغم فساد الدولة، إلا أنها كانت تؤمّن مساعدةً جيدةً لمربّي الماشية من خلال ما يسمّى الدورة العلفيّة، التي تستمرّ من أول الشتاء إلى آخر الربيع. إذ توجد في فرع أعلاف دير الزور مجموعةٌ من المراكز الموزّعة في مناطق المحافظة كافة، وهي: (الـ 7 كم الرئيسي، الشرقي، موحسن، الكسرة، التبني، الميادين، الرحبة، البوكمال، الصور، كباجب، الكشكية). وتقوم هذه المراكز بتوزيع المواد العلفية لجميع أنواع الثروة الحيوانية، فتؤمّن الأعلاف المركّزة للمربين بأقلّ من نصف القيمة. ولهذا يعتبر ثمن هذه المواد قد تضاعف عدّة مراتٍ عما سبق، وإليك بعض الأمثلة: النخالة كان سعرها 7 ليرات والآن 31 ليرة، الشعير كان سعره بين 10 إلى 11 ليرة، وأصبح 28 . 29 ليرة، وغيرها وغيرها من المواد المركّزة التي اختلف سعرها.

أما عن المقترح فيؤكّد النهار أنه لا بد أن تقوم جهةٌ ما بحلّ هذه المشكلة التي تواجه مربّي الماشية، من خلال العودة من جديدٍ إلى توفير الأعلاف المركّزة وقت الحاجة بأسعارٍ مدعومة، وذلك حتى نضمن بقاء ثروتنا الغنميّة على وجه الخصوص مزدهرةً ومحفوظةً من التراجع والانهيار.

أزمة المياه في مدينة دير الزور

أحمد الصالح

آثر الكثير من سكان الأحياء المحرّرة من مدينة دير الزور البقاء في بيوتهم، رغم القصف اليوميّ. فما سمعوه عن معاناة النازحين. الذين عاد الكثير منهم. دفعهم إلى تحمّل معاناة البقاء تحت نيران قوات الأسد، وتحمّل آثار الحرب الكارثيّة على مختلف جوانب الحياة، من خدماتٍ وصحةٍ وأمنٍ وتعليم.

والمشكلة اليوم هي انقطاع المياه عن أحياءٍ عدّة، ولأسبابٍ كثيرة. وقد أثارت هذه المشكلة لغطاً كبيراً، لتصبح حديث البلد وشغله الشاغل، ووصلت إلى حدّ قيام بعض الأهالي بالخروج في مظاهرةٍ لمطالبة المجلس المحلّي بحل هذه المشكلة، كما تم تقديم شكاوى من بعض السكان لدى الهيئة الشرعية بهذا الخصوص.

بدأت القضيّة منذ ثلاثة أشهر تقريباً، عندما انفجر أحد خطوط تغذية المياه الرئيسية في المدينة، عند بنك بيمو، لتنقطع المياه عن أحياء أبو عابد والشيخ ياسين والعرضي، والتي يسكنها . حسب إحصاءات المنظمات الإغاثية . قرابة 790 عائلة. وتلا ذلك بمدةٍ قصيرةٍ انقطاع المياه عن أحياء المطار القديم وكنامات، بسبب كسرٍ في الأنبوب الرئيسيّ عند منطقة البدران. وبدأت ورشة المكتب الخدميّ في المجلس المحلّي العمل لإصلاح العطل، لكن دون نتائج ملموسة. فترى الأهالي يتجمّعون عند الصنبور يعبّئون المياه في الأواني تارةً، ويوصلون المياه بأنابيب تمتد لعشرات الأمتار تارةً أخرى. اقتداءً بأهالي منطقة مساكن الحزب، حيث المياه مقطوعةٌ منذ أشهرٍ طويلة قبل تشكيل المجلس المحلّي، ولذلك قام السكان هناك بتدبير أمورهم اعتماداً على أنفسهم.

يقول أبو عمر، وهو من سكان حي العرضي: راجعتُ المجلس المحلّي مرّاتٍ عديدة، وفي كل مرّةٍ يتذرّعون بطريقةٍ مختلفة: سوف نقوم بالإصلاح.. الورشة تعاني من نقصٍ في الإمكانيات.. التيار الكهربائيّ مقطوع. وأنا معهم على هذا الحال منذ أشهر. خرجتُ في مظاهرةٍ مع أهالي الحيّ ضد هذا المجلس، وتقدّمنا بعريضةٍ لدى الهيئة. وإلى هذا اليوم لم يستجدّ أيّ شيء!

عدسة أحمد | دير الزور

وحدّثنا المهندس ماهر العاني، مدير المكتب الخدميّ في المجلس المحلّي، مفصلاً عن هذه المشكلة، فقال: حدث الانقطاع بسبب كسرٍ في الشبكة عند بنك بيمو. والكلّ يعلم أن هذه المنطقة مرصودةٌ بقنّاصات النظام، لذلك من المستحيل القيام بأيّ إجراءٍ هناك. ونحن، في المكتب الخدميّ، لا نمتلك الخبرة الكافية لإصلاح شبكات المياه. وهذا ليس تقصيراً من قبلنا. وقد قمنا بالتواصل مع ورشة الإصلاح في مؤسسة المياه لكي يساعدونا على حلّ المشكلة، من خلال تزويدنا بمخططات الشبكة، أو باقتراح حلٍّ آخر، ولم نلقَ أي إجابة. لذلك قرّرنا جرّ المياه بواسطة أنابيب سطحية من منطقة الحميدية باتجاه الشيخ ياسين، ومن ثم حي العرضي، وباشرنا العمل منذ شهرين تقريباً. لكن المواد اللازمة للعمل غير متوافرة في الأسواق، ناهيك عن افتقادنا للآليات الثقيلة. ولحين حلّ المشكلة نقوم بتعبئة المياه للأهالي عن طريق سيارات الإطفاء.

أما رئيس المجلس، السيد مثنى العمر، فيقول إن المجلس. ورغم الإمكانيات الضعيفة . قام بالإعلان عن طلب تعهدٍ لإصلاح هذه الخطوط، وبعرضٍ مغرٍ، ولكنه لم يلقَ أيّ استجابة. والآن تفاقمت المشكلة لتشمل أحياء المدينة كلها، بسبب الانقطاع العام في التيار الكهربائيّ، إذ توقفت محطات المياه عن الضخ. ونقوم الآن بتشغيل سيارات الإطفاء من الصباح الباكر وحتى منتصف الليل لكي نقوم بتأمين المياه للأهالي.

ويقول أبو عبد الرحمن، وهو سائق إحدى الإطفائيات: نقوم بتعبئة المياه من منطقة الحسينية، لنعود بها إلى المدينة. وصهاريج الإطفائيات ليست بذاك الحجم الكبير، ولذلك علينا أن نخرج إلى الحسينية ونعود منها مراتٍ عديدةً في اليوم.

الجدير ذكره أخيراً، أنه بسبب كسر أنبوب المياه الرئيسي عند بنك بيمو، انقطعت المياه عن سكان حيّي دوار حمود العبد والمتحف، وهي من المناطق التي يسيطر عليها النظام. ولم تحلّ مشكلة المياه هناك حتى الآن أيضاً.

محلجة الأقطان...
مشروعٌ تنمويٌّ قبل أن يكون اقتصادياً

خليل عبد الله

في إحدى قرى ريف دير الزور أقام أبو هاني مشروعاً اقتصادياً لافتاً... محلجةٌ لحلج القطن. "عين المدينة" التقت به ليتحدث عن هذا المشروع، فقال:

عندما اشتعلت الحرب في مدينة دير الزور توقفت حكومة النظام عن شراء القطن من المزارعين. ونتيجةً لذلك، ولظروفٍ أخرى، توقف الكثير من الفلاحين عن زراعة القطن، لذلك قرّرتُ إقامة محلجةٍ أهليةٍ لاستقبال القطن من المزارعين وحلجه. فقمتُ حينها بشراء الآلات اللازمة، وبعد ذلك أعلمتُ المزارعين في المنطقة بوجود محلجةٍ أهليةٍ تضمن شراء المحصول من المزارع بأسعارٍ جيدة. ومنذ ذلك الحين ونحن نقوم بحلج القطن وتوريده للتجار في منطقة الشيخ نجار في حلب.

ويرجع المهندس الزراعي كمال المحمّد تراجع الزراعة لأسبابٍ كثيرة؛ كارتفاع أسعار السماد ستة أضعاف عن سعرها السابق، وانعدام وجود المبيدات الزراعية، وارتفاع أسعار الوقود، وفقدان البذور المحسّنة وخاصة بذر القطن، إذ يقوم المزارعون بإعادة استخدام البذور المدوّرة بعد حلج القطن؛ كل هذه الأسباب دفعت بالفلاح للتوقف عن زراعة محصول القطن، بالإضافة إلى خروج مساحةٍ واسعةٍ جداً تقدّر بألفي هكتار من الأراضي الزراعية من الاستثمار، وذلك لوقوعها في مرمى قذائف المدفعية والراجمات المتمركزة في مطار دير الزور الحربي، كما هو الحال في كلٍّ من المريعية والبوعمر وموحسن القريبة من هذا المطار.

أبو محمد فلاحٌ ترك الزراعة ليعمل في تكرير النفط، ثم عاد إلى الزراعة منذ مدّة. يروي قصته فيقول: في السابق كانت الحكومة تضمن شراء محصول القطن بعد جنيه، كما أنها كانت تقوم بتأمين السماد بسعر خمسين ليرة. ولكن بعد توقف مديريات الدولة عن العمل، وتراجع الزراعة؛ عرضت الحكومة شراء المحصول بمئة ليرةٍ سوريةٍ لكل كغ من القطن، بشرط نقله إلى محافظة الحسكة أو محافظة حماة، وفي ذلك خطورةٌ كبيرةٌ، فالطرقات غير آمنة، إضافةً إلى احتمال انهيار النظام، وبالتالي ضياع ثمن المحصول كله، إضافةً إلى كلفة نقل المحصول، وفقدان السماد من الأسواق وارتفاع أسعاره إن توفر.. هذه الأمور جعلتني أترك الزراعة لأعمل في تكرير النفط لتأمين متطلبات المعيشة لعائلتي. لكن بعد معرفتي بوجود محلجةٍ أهليةٍ تضمن شراء المحصول، تركت التكرير وعدت لزراعة أرضي.

عدسة خليل | خاص عين المدينة

وبالعودة إلى المحلجة فإنها، وكما يقول أبو هاني، تنتج ما يقارب خمسين طناً من القطن المحلوج، كما ينتج عن عملية الحلج بذر القطن الذي يستخدم لصناعة زيت القطن، وينتج أيضاً علف الحيوانات. ولكن للأسف تهدر كميةٌ كبيرةٌ من الزيوت بسبب عدم وجود معملٍ لصناعة زيت القطن. وتقوم المحلجة بتأمين فرص عملٍ لأكثر من ثمانين شخصاً. ويضيف أبو هاني أن مشروع المحلجة الذي أسسه ذو أهدافٍ تنمويةٍ أكثر منها ربحية، فهو يشتري القطن من المزارعين بثمانين ليرة سورية لكل كغ، بينما تقوم محالج النظام في المحافظات الأخرى بشرائه بسعر خمسةٍ وخمسين ليرة، كما أنه يقوم ببيع الكغ من العلف الناتج من عملية الحلج بخمسةٍ وعشرين ليرة. وعن دور المحلجة في إصلاح القطاع الزراعي يقول أبو هاني: تساعد المحلجة مزارعي القطن، لكن ماذا عن المحاصيل الأخرى، كالقمح والشعير؟ إذ إن الكثير من الفلاحين تركوا الزراعة واشتغلوا بتكرير النفط أو بأعمالٍ أخرى لأن المحاصيل عادت على أصحابها بالخسارة. ولكي يتحسن الوضع الزراعيّ على الحكومة المؤقتة أو الائتلاف أن يقوما بدعم الزراعة وتأمين مستلزمات الفلاح لدورة المحصول بالكامل، من بذارٍ وسمادٍ ووقود، وضمان شراء المحصول. عندها سيتحسّن الوضع الزراعيّ، أما إذا استمرّ الحال على ما هو عليه فسيتدهور القطاع الزراعيّ أكثر مما هو عليه الآن.

أبو هاني | صاحب المشروع

حلول أهالي ريف حلب لانقطاع التغطية الخليويّة... وحملةٌ لإغلاق شركة سيرياتل بطريقةٍ جديدة

محمد نزار

هنا، في مدينة منبج بريف حلب الشرقيّ، يمرّ اليوم على انقطاع شبكة الاتصال الخليويّة أكثر من تسعة أشهر. بعد هذه المدّة، وبعد أن فقد الأهالي الأمل في عودة التغطية، بدأ الكثيرون يبحثون عن وسائل بديلةٍ تقوم مقام الاتصالات.

ولكنهم عشروا على الحلّ؛ إذ بسبب موقع منبج الجغرافيّ، والذي يبعد عن الحدود التركية حوالي 40 كم فقط، وبواسطة مقويّاتٍ من صنع أبناء المدينة؛ أصبحت الشبكة التركيّة متوفرةً لدى العديد من البيوت. بالإضافة إلى انتشار مقاهي الإنترنت، والاتصال عبر الأقمار الصناعيّة، وعن طريق برنامجي السكايبي والفايبر وبعض البرامج الأخرى.

مدنٌ خارج التغطية

لم تكن منبج المدينة الوحيدة التي انقطعت عنها التغطية بهذا الشكل، بسبب قيام بعض المستغلين بسرقة أبراج التغطية ليبيعوها بطريقةٍ بدائية، بالإضافة إلى إغلاق مكاتب شركات الخليوي الخدمية في المناطق المحرّرة، مما جعل الدعم التقني شبه معدوم لهذه المناطق، الأمر الذي أدّى إلى خروج هذه المدن عن نطاق التغطية الخليوية.

وكما حدّثنا أحد أصحاب مقاهي الإنترنت في منبج: "كان مصدر عطل التغطية هو انقطاع كبلٍ ضوئيٍّ في منطقة بستان الباشا بحلب، والمعروف أنها نقطة اشتباكاتٍ حامية. وقد حاولت لجنةٌ من الهلال الأحمر، مدعومةً بفريق تقنيّ، إصلاح العطل، ولكن قنّاصات النظام نالت منهم، بعد إخلالها بالاتفاق، فسقط أكثر من شهيدين وبعض الجرحى. ومنذ ذلك الحين لم نسمع أي شيءٍ يخصّ إصلاح هذا الكبل".

وسائل بديلة

بعد أن قامت شركات الاتصال التركية ببناء أبراج تغطيةٍ ملاصقةٍ للحدود، أصبحت الشبكة التركية متوفرةً في كل بيتٍ في منبج. ولتزداد قوة الإشارة قام بعض الناس بزرع مقوياتٍ على أسطحة المنازل، لتصبح التغطية جيدة، ولكن بما يشبه وجود هاتفٍ أرضيٍّ في المنزل.

أما فيما يخص مقاهي الإنترنت فيقول أحد أصحابها لـ"عين المدينة": "إن توفير خدمة الإنترنت لمدينةٍ عانت على انقطاع الاتصالات أمرٌ لاقى استحساناً من الجميع، رغم أن الأسعار مرتفعة قليلاً عن أسعار المقاهي التي كانت تعتمد سابقاً خدمة ICDL. كما أن كثرة المقاهي اليوم جعلت العديد من الشباب يشترك من منزله عبر شراء مقوي (وايرلس)، إلى درجة أنني أتحدث مع جميع أصدقائي في المدينة عن طريق النت. عدا عن إقبال الكثير من الزبائن على المقهى للاتصال بأبنائهم أو أقربائهم في الخارج والاطمئنان عليهم".

ويضيف: "لقد خلق ذلك فرص عملٍ كثيرةٍ للعديد من الشباب العاطلين عن العمل والدراسة على حدٍّ سواء. إنه في النهاية أمرٌ جيد. وأصبحنا بغنىً عن شبكة الاتصال الخليوية".

حملة إغلاق شركة سيرياتل

في دمشق العاصمة، وبجهود بعض الناشطين ممن تتوافر في مناطقهم التغطية، تم إطلاق حملةٍ لإغلاق أكبر عددٍ من الخطوط المسبقة واللاحقة الدفع، بغرض محاولة تخفيض الاستفادة التي يجنيها رامي مخلوف، ابن خال الأسد، من عائدات هذه الشركة. ومهمة العاملين على الحملة هي تنبيه الأهالي إلى مدى خطورة الدفع لهذه الشركة التي تزايدت الأخبار حول تمويلها لبعض جهات الأمن والشبيحة.

وبسؤال أحد المشرفين على الصفحة قال: "أطلقنا الحملة في بداية شهر 11 من العام الحالي تقريباً. وكانت في البداية مجرّد فكرةٍ نطرحها كتعليقاتٍ في الصفحات الثورية على الفايسبوك. وبعد أن لاحظنا التجاوب بدأنا بإحصاء عدد الخطوط التي يتم إبلاغنا عن إلغائها على صفحات الأفراد المنضمين للحملة. وبعدها قررنا إنشاء صفحة تُجمع فيها الجهود. والآن، وبعد مرور شهر على الحملة تمكّنا من إلغاء 4603 خط".

ويذكر أن خسائر شركة سيرياتل قد تجاوزت الأربع مليارات ليرة سورية حتى الآن. وقد انخفضت قيمة السهم الواحد فيها إلى حوالي 30 ل. س. ويعود ذلك إلى انقطاع التغطية عن أغلب المدن والبلدات المحرّرة، الأمر الذي أصاب جزءاً كبيراً من جسم الشركة بالشلل.

إسرائيل.. مع الثورة أم مع بشار؟؟

ناصر عنتابي

يكاد الموقف من إسرائيل هو المسألة الوحيدة التي يتّفق عليها جمهور الثورة مع موالي النظام الأسديّ. إذ لطالما عزا الثوّار أسباب تأخر النصر على بشار البرميلي إلى وقوف إسرائيل إلى جانبه، أو على الأقل منعها الدول الكبرى من التدخل لصالح الثورة، لأن حدود الجولان هادئة. وفي نفس الوقت كرّر الأسد وأتباعه فكرة المؤامرة التي (تقودها إسرائيل وأدواتها لإضعاف سوريا)، وأخرج إلى الشاشات ترّهاتٍ إعلاميةٍ لتأكيد صدق روايته حول ارتباط الثورة بإسرائيل، وتوعّدت أبواقه الإعلامية باسترداد الجولان، ليحشد مؤيّديه ضد الثورة والثائرين.

تنطلق وجهتا نظر العداء لإسرائيل هاتان من أسسٍ نظريةٍ واحدة، وهي أن من مصلحة الدولة العبرية أن تخرّب سوريا وتشغلها بالحروب والاقتتال الداخلي، مما يستنفد قدراتها ويمنعها من التفرغ لمقارعتها. لكن، متى كان لسوريا، أو لغيرها من "دول الطوق"، القدرة على منازلة "الكيان الغاصب" عسكرياً أو غير ذلك؟ وخصوصاً إذا استعرضنا تاريخ المشاركات السورية في حروب النكبة والنكسة وتشرين، حينما كانت قضية فلسطين هي القضية المركزية للعرب بحسب أدبيّات القومية العربية المهزومة في كل تلك الحروب. فعلى خطٍّ متصل تشير أدبيّات الهزيمة العربية دائماً إلى وجود مؤامرةٍ ما، اشترك فيها العملاء، أدّت إلى الهزيمة. ففي حرب 1948 اتُهم الملك فاروق بشراء أسلحةٍ فاسدةٍ أدّت إلى خسارة الحرب . وكانت هذه الرواية أحد أهم أسباب ثورة 1952 التي أحضرت معها جمال عبد الناصر إلى السلطة لاحقاً . وهذا الاتهام عصيٌّ على التصديق إذا علمنا أن تعداد جيش الإنقاذ في حرب 1948 ضد إسرائيل كان لا يكفي لملء ملعب كرة سلة (3830 مقاتلاً، بحسب الجامعة العربية). وفي حرب 1967 يحمّل كثيرون الملك الأردنيّ مسؤولية الهزيمة، كما يلصقونها بوزراء دفاع دول الطوق، ومنهم حافظ الأسد الذي جاء هو الآخر بانقلابٍ بعد الحرب، والذي لم يعرف يومها لا الحروب ولا الخبرة العسكرية ولا من يحزنون. أما في حرب تشرين المزعومة فقد روّج النظام السوريّ لرواية خيانة أنور السادات، وصدّقها السوريون دون أن يعرفوا الحقائق التي كان أهمّها أن الجيش الإسرائيلي كان على مرمى مدفعيةٍ من دمشق. بينما تحدّث السادات بدوره عن "خيانات البعث السوريّ"، دون أن يعترف لمواطنيه أن الجيش الإسرائيليّ كان سيجد في طريقه إلى القاهرة في حال استمرّت الحرب لأسبوع آخر.

فهل بقاء النظام أم زواله هو السيناريو المفضّل؟

لإسرائيل مصالح ووجهة نظر في ما يجري، كسائر الدول البعيدة والقريبة التي تلعب وتتدخل في "الشأن السوري"، مع فارق أنها تقبع على حدود سوريا. وأيضاً لأن الأخيرة ما زالت دولةً عدوّةً لم توقّع اتفاقية سلام، كما فعلت مصر والأردن، وما زالت تدعم منظماتٍ تعدّها إسرائيل إرهابيّةً، مثلما يعدّ الثوّار الآن حزب الله حزباً إرهابيّاً ومجرماً. لكن، في نفس الوقت، لم تقم الدولة المحتلة بأية نشاطاتٍ مباشرةٍ لترجيح كفة طرفٍ على حساب طرفٍ آخر، فلم تساهم بتمويل أو بدعم الثورة بالطبع، ولا بتقديم أيّ نوعٍ من الدعم يمدّ في عمر النظام، كما تفعلُ روسيا وإيران أو حتى الصين.

وبناءً على ما سبق، يعرف الإسرائيليون جيداً أن لا وجود لخطرٍ واقعيٍّ يهدّدهم من حدودهم الشمالية، لا الآن ولا في المستقبل، وبضع قذائف هاون بين الحين والآخر ليست مشكلةً عصيّةً على الحل في حال تعقدت الأمور. كما أنهم يدركون أن النظام الأسديّ زائلٌ لا محالة بعد أن استخدم أسلحته الكيماوية العفنة ضد شعبه، والتي لم تكن لتطير حتى تسقطها أنظمة الدفاع الحديثة في حال تجرأ النظام على فعل ذلك ضدهم. أما الآن، وبعد بدء برنامج تشليح النظام الكيماويّ من سلاحه، فهم راضون عن عدم وقوع هذا النوع من السلاح في أيادٍ أخرى قد تعكّر مشاريع إقامة اتفاقيةٍ تضمن لهم أكبر قدرٍ من الاستقرار في المستقبل، ولا يشغلون بالهم كثيراً بشؤونٍ كارثيةٍ معقدةٍ كشؤوننا، تبدأ بالنزاع المذهبي ولا تنتهي بالحرب على شارعٍ في حيٍّ في قريةٍ سوريةٍ نائية.

سقوط آل الأسد

محمد عثمان

حسن صبرا صحافيٌّ لبنانيٌّ اشتهر عام 1986 بالكشف عن وقائع فضيحة إيران غيت (صفقة الأسلحة الأمريكية إلى إيران) وتعرّض بعدها إلى محاولة اغتيال. وطوال عشرات السنين من رئاسة تحرير مجلة «الشراع» تراكمت عنده وقائع كثيرةٌ من كواليس السياسة السورية في لبنان. ومع اندلاع الثورة السوريّة صار بإمكان الصحافيّ كشف بعض ما يعرفه في مقالاتٍ، ثم جمعها في هذا الكتاب، الذي صدر عام 2013 عن الدار العربية للعلوم ناشرون، ببيروت.

والعنصر الأهم الذي يبرزه صبرا هو وجود ذراعين متصارعين للنفوذ السوريّ في لبنان؛ أولهما هو الثلاثي عبد الحليم خدّام . غازي كنعان . حكمت الشهابي، والذي احتفظ بعلاقاتٍ وثيقةٍ مع رئيس الوزراء اللبناني الراحل رفيق الحريري، مما جعل هذا الحلف محطّ اتهام خصومه بتقوية الوجود السنّي وتوطيد زعامةٍ له في المنطقة. أما التكتل الآخر فيقوده محمد ناصيف، ضابط المخابرات الشهير، ويندرج فيه كلٌّ من بشار وماهر الأسد، ويحتفظ بعلاقاتٍ وثيقةٍ جداً مع حزب الله وإيران، دون استبعاد الخلفية المذهبيّة لهذا التحالف.

وإذا كان الأسد الأب، وقد عركته السنون، يعرف أن هناك حدوداً لكلّ شيء، حتى لنفوذه الواسع في لبنان؛ فقد راعى توازنات الكتل اللبنانية وداعميها الدوليين والإقليميين على العموم. ولم يكن ممكناً للسياسة الطائفية الرعناء والمتعنتة، التي أدت إلى اغتيال الحريري، أن تسود إلا في عهد ابنه الذي اتفق الكثيرون على وصفه بالاختلال والتقلّب المفرط في الرأي والكذب.

ومنذ أن بدأ الأسد الأب بإعداد ابنه الثاني للوراثة، أخذ الأخير يجهّز فريقه في سوريا ولبنان، فكان هؤلاء عموماً من قليلي الخبرة، ضعيفي التجربة، والمستعدّين للموافقة على كلّ ما يقوله مهما كان سخيفاً أو غريباً، بالإضافة إلى افتقارهم إلى القيمة الذاتيّة أو الوزن التمثيلي في مجتمعاتهم أو طوائفهم. فعلى سبيل المثال، يروي ضياء دغمش، وهو أحد أوائل الناشطين، كيف اعتقله فرع فلسطين نتيجة تقرير كتبه غالب قنديل، أحد الأبواق اللبنانيين، عندما تواجه الاثنان في برنامج «للنشر»!

ويرى المؤلف أن تحالفات بشار الطائفية كانت سياسية وعصبويّة بالدرجة الأولى، من دون أن يحمل الأسد الابن أي تديّنٍ خاص. إذ يروي أحد أصدقائه المقرّبين أن بشار لم يكن يحب مناطق العلويين، بل كان يتعالى على زيارة القرداحة، ويأنف من اللقاء بمشايخ من الطائفة كان والده وشقيقه الراحل يحرصان على لقائهم. وذلك بخلاف ابني خاله محمد مخلوف؛ رامي وحافظ، الأقرب إلى الالتزام والمحافظة. أما محمد ناصيف فيبدو أن تولّيه للملف الشيعي في لبنان، وللعلاقات مع حزب الله وإيران، كان نوعاً من الهوى والانحياز الشخصيين، أكثر منه مهمةً سياسيّةً/ أمنيّةً.

ويلقي الكتاب الضوء على صفحاتٍ أخرى من تاريخ حكم آل الأسد، تفيد في فهم ما يجري الآن. فبعد الصدام بين البعثيين والناصريين، الذين كانوا شركاء في «ثورة» آذار 1963، إثر محاولة جاسم علوان الانقلابية الفاشلة؛ عقد المكتب العسكري لحزب البعث اجتماعاً لبحث الأوضاع المتفاقمة في الشوارع السورية. وبينما مال رأي محمد عمران وصلاح جديد إلى الحوار مع جمال عبد الناصر والتفاوض على عملٍ وحدويٍّ يتجاوز سلبيات التجربة الماضية؛ فإن رأي حافظ الأسد كان سحق المظاهرات بالقوة، وإعدام بعض قادتها، وتوزيع صور القتلى في البلاد لإرهاب المحتجّين فيتوقفوا عن التظاهر!

أما بعد اختيار حافظ الأسد لحكمت الشهابي لمنصب رئيس هيئة أركان الجيش، فقد استاء كثيرٌ من كبار الضباط المقرّبين، كان اللواء شفيق فيّاض من أشدّهم، إلى درجة أنه اتصل بالقصر الجمهوري وهو في حالة سكرٍ شديد، ليعترض على تعيين هذا «السنّي الحقير». وقال لمحمد دعبول (أبو سليم)، مدير مكتب الأسد: قل للرئيس من أين جاء بهذا الحمار ليحكمنا؟! نحن رجاله الحقيقيون ولن نخضع لأيٍّ من قرارات الشهابي!! فما كان من رئيس الأركان . وقد بلغه ما قيل . إلا أن امتنع عن زيارة أيّة قطعةٍ عسكريةٍ طيلة بقائه في منصبه. ثم انسحب من شؤون الجيش بشكلٍ أوضح والتزم الصمت أمام تدخلات باسل الأسد في شؤون هذه المؤسسة، بخلاف موقفه من بشار، الذي ما إن خلف أخاه حتى صار الشهابي يردّد أمام بعض مقرّبيه المخلصين والكتومين: هذا الولد غبي، وسيطيح بكل شيءٍ بناه والده.

رصاصةٌ "وطنيّةٌ" تلفّ الكوع وتقتل الإرهابيّ أبو أحمد!

بكل مهنية، ومفعماً بروح الانتصار على المؤامرة (الوهابيّة، الصهيوسلفيّة، الإمبرياأمريكية، الخليجتركية، الأربعة عشر آذارية) الكونيّة، يأتي الخبر العاجل ليصبغ نصف شاشة التلفزيون "العربي" السوري: "ثلاثة إرهابيين عرب يحملون أحزمةً ناسفةً يهاجمون بعربةٍ مصفحةٍ أحد مواقع الجيش العربي السوري بريف حمص، وبواسل الجيش العربي السوري يتصدّون للهجوم الغادر ويوقعون العشرات منهم بين قتيلٍ وجريح".

وعلى الرغم من هول الأحداث وفواجع البراميل، إلا أن السوريين لم يتمالكوا أنفسهم عن القهقهة، لا بسبب الثلاثة إرهابيين الذين أحالهم بواسل الأسد (بقدرة قادر) إلى عشرات القتلى والجرحى وأفشلوا العملية، ولم يضحك السوريون بسبب حصول "بواسل الأسد" على معلوماتٍ دقيقةٍ عن المواصفات الفنية والتعبوية للإرهابيين الثلاثة وجنسياتهم (العربية)، على الرغم من أنهم هاجموا الثكنة وهم داخل عربةٍ مصفحة!

كما لم يضحك السوريون على ذلك الإصرار على أن الجيش السوري "عربيّ"، على الرغم من "السيّاح" الإيرانيين والعراقيين واللبنانيين الذين يقومون بالحج بكثافةٍ إلى حسينياتهم المقدّسة. وفي هذه المناسبة الدينية، يتساءل مراقبون: لماذا لا يطلق بواسل الأسد على أنفسهم اسم الجيش العلماني السوري! لأن ذلك يتوافق مع رواية الرفيق فلاديمير بوتين حول الصراع الوجودي بين "أبو صقار" و"أبو باسل"؟!

والحق يقال، إن السوريين لم ينفجروا من الضحك حينما قرؤوا ذلك الخبر العاجل سوى من أجل كلمةٍ واحدة، مرّت مرور الكرام داخل السياق، عندما وصف الإعلام السوري هذا الهجوم بـ "الغادر"! فصرخوا بملء حناجرهم: "أيها البواسل... هذيانكم الوطني يضحكنا".

التنظيف الوطنيّ الشامل

الأخبار العاجلة التي تتصدّر نشرات أخبار الشاشة الرسميّة للنظام

تجعل السوريين يعتقدون لوهلةٍ أنهم سائحون من بلاد الهند جاؤوا إلى سوريا بدعوةٍ من وزير السياحة ليثبت للعالم "المتآمر" على الممانعة أنه "ما في شي"، وفي سوريا "أمن وأمان"، وأنه يمكن للهنديّ والصينيّ أن يتسكّع في الشوارع ويستمتع بجسر البرامكة أو ما يسمّى "جسر الرئيس"، ذلك الصرح الحضاريّ الذي يعجّ بمئات "عمال النظافة" الحريصين على "المسح الشامل" للطرقات وهم بكامل أناقتهم!

ويتجوّل عمال النظافة في سوريا الأسد بكل شموخ وطنيٍّ وهم يحدّقون بالعابرين، لا من بابِ التشكيك بوطنيتهم، على الإطلاق، وليس للبحث عن مندسٍّ حمصيٍّ هارب من حيّ باب السباع السلفيّ الصهيونيّ العميل، أبداً، بل من أجل الحرص على أمن وأمان المواطن "الهندي". ومن أجل ذلك فإن عمال النظافة في دمشق يحملون موبايلاً متطوراً ليتواصلوا مع "الرفاق"، وللإشراف على أعمال المسح والتنظيف، بينما يتفرّج السائحون الهنود بدهشةٍ على طقوس "الذبح" الحلال وفق الشريعة الإيرانية.

الإرهابيّ الواعي

لا يصدّق السوريون ما يظهره النظام على وسائل إعلامه، على الرغم من كلّ هذا الزخم في الأخبار "الوطنيّة"، وعلى الرغم من أنهم اضطرّوا ذات يوم (قبل اندلاع الثورة) إلى تصديق تلك الرصاصة التي لفّت الكوع وقتلت الإرهابيّ السلفيّ أبو أحمد، حينما كان يهمّ بتفجير صالةٍ فنيةٍ بدمشق، تعرض منحوتاتٍ "علمانية"!

يأتي التقرير الذي بثته قنوات الأسد الرسمية "فاجعاً" هذه المرة، متضمّناً اعترافات مراهقين ومعتقلين سابقين ادّعى النظام أنهم من "جبهة النصرة"، يدلون بتفاصيل قيامهم بقتل الشيخ البوطي في جامع الإيمان. ولم يتأثر "السائحون الهنود المقيمون في سوريا بالملايين" بتلك الاعترافات "المفبركة"، إلا أن اعترافات أحد "القتلة" قد أثارت حنق الهنود للمرّة الأولى، عندما أجاب "الإرهابيّ" عن سؤالٍ وجّهه له الإعلاميّ المحقّق حول سبب قبوله القيام بتلك الجريمة فقال: "هدفنا من العملية هو القضاء على الإسلام المعتدل في سوريا ونشر الإسلام المتطرّف"! فهذا المجرم "المغرّر به" يعلم أنه متشدّدٌ ومتطرّفٌ ويصف نفسه بذلك بكل وضوح وثقة، وبكثيرٍ من الوعي السياسي! كما أنّ هذا "المجرم الخطير" يعلم أن تيار البوطي هو الإسلام المعتدل، ولأنه يكره الاعتدال فقد قتل الشيخ! إذاً، فالمجرم "الافتراضي" لم يقتل البوطي بسبب "الرؤيا" التي فسّرت له أن الشبّيحة التي تقتل وتنكل بالمدنيين السوريين هم من "جنود الله"!

هيكل... القلم واللسان في خدمة السلطان

من شبّ على النفاق شاب عليه. ومحمد حسنين هيكل، وبعد أن تجاوز الشيب إلى الخرف، لا بدّ أن يكون وفياً لخصاله في المداهنة والنفاق، وهي "المبادئ" الوحيدة التي صدق فيها الرجل طوال حياته المديدة التي جاوزت التسعين عاماً، وامتلأت بالخديعة والأكاذيب، فكان بحق أسطورةً للدجل، وأسطورةً في التقرّب من أهل السلطة والنفوذ. لينتهي به الأمر أخيراً، ومنذ اندلاع الثورة، إلى الوقوف في صفّ نظام الأسد وولاة أمره من الإيرانيين، دون أي مبرّر سوى مصالحه. ولم يوفر أستاذ الصحافة العربية فرصةً من غير أن يبرّر للأسد جرائمه، بالتشكيك بالثورة بأنها صنيعة دوائر المخابرات الغربية. وردّد، وهو العالم بالدعاية للطغاة، ما تقوله وسائل إعلام النظام، فجعل اندلاع الثورة من درعا المجاورة للحدود الأردنيّة الإسرائيلية مثار تساؤل عن دور المخابرات الإسرائيلية في هذه الثورة، وجعل من تدخل عصابة حزب الله في القصير أمراً ضرورياً، لوجود 40 ألف مقاتل أجنبيٍّ فيها!

هذه الوقاحة في سلوك الصحفي الكبير ليست جديدةً على من ابتدأ حياته المهنية بمدح الملك فاروق والتزلف إليه، فهو من كتب ممجداً الملك في مجلة روز اليوسف عام (1944) قائلاً:

في يوم عيدك يا مولاي

هذه هي الذكرى الثامنة لجلوسك يا مولاي على عرش مصر.. ثماني سنوات وأنت تحمل مسؤولية هذا الوطن وهذا الشعب... الناس جميعاً أضاءت عيونهم بنور الأمل والثقة وتقابلت أنظارهم فتبسموا ابتسامة حبٍّ وحنان... إنه الفاروق... إنه الفاروق دائماً... فاروق الأمس... وفاروق اليوم... وفاروق الغد... وهكذا أخذت عليك مصر كل تفكيرك، لأنك تحبها، ومصر يا مولاي تحبك.

وحين تغيّرت الأحوال وجاء العسكر بعد انقلابهم بدأ برحلة تقرّب جديدةٍ مع أول ديكتاتور في تاريخ العرب الحديث، ليصعد نجمه ويكون كاتب كلمات جمال عبد الناصر وقائد جوقة المطبّلين (ترأس هيكل تحرير جريدة الأهرام ابتداءً من العام 1957) لسياسات وأفعال مؤسّس دولة المخابرات، الذي زجّ بمعارضيه في السجون وعلّق رؤوسهم على المشانق، وأنكر الهزيمة المريعة مع إسرائيل في حرب 67 بعد طول تهديدٍ □

بها في الليل والنهار. وبعد أن كان هيكل المجّد الأول لأسطورة عبد الناصر، كان أيضاً المشكّك الأول بها بعد أربعين يوماً من وفاة الأخير عام 1970، في مقالةٍ طويلةٍ باسم "عبد الناصر ليس أسطورة". ليكتب بعدها، متقرّباً من السادات، ثلاث مقالاتٍ متسلسلةٍ بعنوان "السادات وثورة التصحيح". وفيها قال، متناسياً ما كان يقوله عن عبد الناصر: "كان السادات هائلاً في هذه الساعة الحاسمة من التاريخ بأكثر مما يستطيع أن يتصور أحد.. كانت قراراته مزيجاً مدهشاً من الهدوء والحسم.. هذه المرحلة هي التي ستجعل من أنور السادات . بإذن الله . قائداً تاريخياً لشعبه وأمته، لأن القيادة التاريخية مرتبةٌ أعلى بكثيرٍ من الرئاسة مهما كان وصفها".

وبعد رحيل السادات وتسلم مبارك كان من أوائل زوّاره والمهنئين له في وفدٍ من الكتاب والصحفيين، الذين ما زال بعضهم يتذكّر كيف وقف هيكل ليطلب منهم الانصراف حرصاً على وقت الرئيس. وبعد الثورة أيّد مرسي مع حفظ خطٍ للرجعة عن تأييده له، ليكون بعد ذلك أول المدافعين عمّن انقلب عليه!

وفي زيارته الأخيرة إلى لبنان، زار هيكل حسن نصر الله مرتين، وزار سفير بشار في لبنان، ليحمل له الأخير تحيات قائده... وكيف لا يحيّيه وهو في أمسّ الحاجة إلى قلمٍ مأجورٍ وماكرٍ مثل قلم هيكل؟

مع هيكل تجربة حياةٍ كلها في جوار ودفاعاً عن السلطان.

سقـــوط عدرا.. جنـــون الشـــبيحة وآلامهـــم

كان لتحرير مدينة عدرا العمّالية وقعٌ صاعقٌ على جماهير الشبّيحة والمؤيّدين قبل أن يحاولوا استيعاب هذه الصدمة المفاجئة من خلال تناقل رواياتٍ مضحكةٍ عن قيام عوائل كاملةٍ بتفجير أنفسها خشية الوقوع في الأسر، وعن انتحاريين فخّخوا أنفسهم وراء أبواب منازلهم عند وصول الإرهابيين كي يوقعوا أكبر قدرٍ من القتل فيهم، كما فعل. وفق رواياتهم. العقيد جهاد حامد مخلوف. كلّ هذا مع أنباءٍ عن قوّاتٍ من نخبة المخابرات الجويّة والحرس الجمهوري والفرقة الرابعة بدأت باقتحام عدرا بغضب الأسود، حسب وصف ضابطٍ في المخابرات الجويّة، بحسب شخصٍ يطلق على نفسه اسم "الكوماندوس الأسدي"، يفاخر على صفحتّه الشخصية في الفيسبوك بمعلوماتٍ خاصةٍ وعاجلةٍ عن مجريات الأحداث.

وبعد ذلك بدأت محاولات الشبّيحة للعثور على تفسيرٍ لما جرى، فاتّهم كثيرٌ منهم النازحين القادمين من دوما وحرستا إلى عدرا، لتظهر وفقاً لهذا التفسير حدّة الكراهية والعنصرية والجنون، وكذلك الحقد والوحشية نحو كل نازحٍ إلى منطقةٍ من المناطق التي تقع تحت سيطرتهم، وخاصة في مستعمرات ضاحية الأسد ومساكن القطيفة والمزّة 86، إضافةً إلى النازحين في مدن وبلدات الساحل. وبلغ بهم السعار حدّاً باتوا يتوهمون معه سماع أصوات حفرٍ تحت الأرض في مشروع الزراعة باللاذقية والسومرية في دمشق، فالأنفاق التي دخل منها المسلّحون إلى عدرا (وفق بعض التفسيرات) ستدخلهم أيضاً إلى الزراعة والضاحية والمزّة! وللأسف، كما تستنتج (علوية - أسدية - وأفتخر) على صفحتها الشخصية في الفيسبوك، فإن "حكومتنا نائمة. وكندة الشماط (وزيرة الشؤون الاجتماعية في حكومة الأسد) مشغولةٌ بشؤون النازحين التكفيريين الذين يشكلون خلايا نائمة لا بدّ أن تنشط في لحظة الصفر وبعد اكتمال الأنفاق وتنقضّ على قوّات الدفاع الوطني والأمن وعناصر الجيش لتسهّل هجوم المسلحين من الخارج، كما حدث في عدرا". ويعقّب على قولها (المقاوم من عين شقاق الأسد) بتحميل جزءٍ من المسؤولية على رجال الدفاع الوطني المشغولين بالنهب والسلب والرشوة، فهم، ووفق المقاوم، من سهّل مرور شاحنات البرّاد المليئة بالمسلحين عبر الحواجز إلى عدرا ليقبضوا ملايين الدولارات من زهران علوش قائد جيش الإسلام. وهنا يستشيط (الليث القرداحي) غضباً ويطالب بضرب المهاجمين بصواريخ السكود، فيردّ عليه المعلقون بأن يتذكّر أن هناك آلاف البشر من جميع قرى الساحل ما زالوا عالقين في عدرا، فيصحّح اتجاه الصاروخ ويطالب سيادة العميد ماهر الأسد بسحق دوما بالسكود بعد شحنه بالكيماوي، ثم بصاروخٍ آخر إلى حرستا وبالكيماوي أيضاً، ومنطقةٌ وراء منطقة... سترجعُ سوريا القديمة، سوريا الأسد.

مجلة عين المدينة | نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة عن رأي المجلة بالضرورة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

فيس بوك facebook.com/3aynAlmadina
تويتر twiter.com/3aynAlmadina
www.3ayn-almadina.com | info@3ayn-almadina.com

الفرح في نهاية فصلٍ دراسيّ

من مدارس الميادين | عدسة أسامة